المحاضرة رقم 03: الأدب الجزائري القديم في عهد الدولة الأغلبية (184-296 هـ)

1. نشأة الإمارة وموقعها في الجزائر:

تنسب تسمية الدولة الأغلبية إلى مؤسسها إبراهيم بن الأغلب، حيث عين سنة 184 للهجرة واليا على إفريقية من قبل هارون الرشيد، حيث أسس الدولة الأغلبية وجعل عاصمتها القيروان، التي أصبحت من أكبر الحواضر الإسلامية[1].

استمدت الدولة الأغلبية الدعم من الخلافة العباسية في بغداد، على الرغم من استقلاليتها، حيث تناوب عبى حكمها أحد عشرا أميرا، فقد الحكم وراثيا من نسل إبراهيم بن الأغلب، اتخذوا من القيروان عاصمة للخلافة، تمتد حدودها من طرابلس إلى الحضنة والزاب الجزائري، وقاعدتها مدينة طبنة شرقي الحضنة وتمتد إلى جنوب عمالة قسنطينة، وأراضي الزاب تمتد حسب عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر من سكيكدة شرقا إلى وطن زواوة غربا ومن ميلة وسطيف شمالا وشط الجريد جنوبا[2].

وكانت علاقاتهم بجيرانهم الرستميين والأدارسة، والأمويين يغلب عليها الشد والجذب، والسبب أن أمراء الأغالبة أردوا إعادة توحيد بلاد المغرب تحت راية العباسيين، لكن هذا لم يمنع من التبادل التجاري والثقافي بين دويلات المغرب الكبير، والتضامن في الأزمات العاصفة.

وقد قامت الدولة الأغلبية لأكثر من قرن حوالي 112 سنة، عرفت فيه إفريقية الازدهار والقوة، خاصة في عهد إبراهيم الأول (196-184 للهجرة)، وفي عهد ابنه زيادة الله الأول (223-201 للهجرة) الذي وجه جيشا بقيادة أسد بن الفرات سنة 212 للهجرة لفتح جزيرة صقلية. وفي عهد الأمير محمد الأول (242-226 للهجرة) شنّ حملة على مدينة روما سنة 232 للهجرة، حيث تم اقتحام أسوارها وجلب غنائم كثيرة، وفي عهد الأمير إبراهيم الثاني (289-261 للهجرة) استقر الفتح الإسلامي في صقلية، وتمت مواصلة الفتح في جنوبي إيطاليا.

2. الأدب في عهد الدولة الأغلبية

عرفت الثقافة في الجزائر في عهد الدولة الأغلبية بالنهضة، في نواحي متنوعة عمرانية وحضارية وعلمية وأدبية، يقول رابح بونار: "عصر نهضت العلوم والآداب .... ونشطت فيه الحركة العلمية نشاطا ملحوظا، وقد تميزت فيه العلوم القرآنية وغيرها .... وجنح علماء كل فن إلى التخصص فنجد بعضهم قد اتجهوا نحو الدراسات الأدبية وآخرين قد اتجهوا نحو العلوم الدينية كأسد بن فرات وسحنون وغيرهما"[3]. ومن شعراء الإمارة الأغلبية نجد:

أ. محمد بن الحسين الطبني

ومن أبرز الشخصيات الأدبية في طبنة حاضرة الأغالبة بالجزائر أبو عبد الله محمد بن الحسين الطبني، وهو شاعر وأديب بارع، دخل الأندلس سنة 325 للهجرة، كان من

شعراء الخليفة الأموي الأندلسي الحكم بن عبد الرحمان الناصر، ولم يصل الأندلس من هو أشعر منه. وقد ضاع ما خلفه الشاعر، كما ضاع الكثير من تراث الجزائر القديم، وما جمعه أمحمد بن لخضر فورار هو سبع وثمانين 87 بيتا من شعره، فيها أغراض شعرية متنوعة، هي: المدح والوصف والرثاء والهجاء، وهي الأغراض المتداولة قديما[4].

قال الشاعر محمد بن الحسين الطبني يمدح هشام بن الحكم[5]:

حصّن به دين النّبي محمّد === وأقم به أود الزّمان الأعوج

لهجت ببيعته النّفوس فأخْذُها === من واجب الأشياء لو لم تلْهِج

عود النبوة والخلافة أصله === فالفرع من تلك العروق الوشّج

وإذا تبلّج وجهُ الصّبح مقبل === فالشّمس تحت ضيائه المتبلّج

هو زهرة الدّنيا وباب سرورها === فاعهد وسُرّ به الأنام وأبهج

يا ربّ بلّغه جميع رجائه === لأبي الوليد وزده ما لم يرتج

ليدمْ سراجُ الله في الورى === فضياؤُه من فضل نور المُسْرِج

وقال في وصف الحمام:

قُمْرِيَةً دعتِ الهوى فكأنّما === نَطَقَتْ وليس لهل لسانُ ناطقُ

غنّتْ فحببتِ الأراكَ كأنّما === فرق الغُصونِ حبابةٌ ومخارقُ

وقال في الهجاء:

ووغد إذا أردت له عقابا === عفا عن ذنبه حَسبي وديني

يؤنبني بِغَيبةٍ مستطيل === ويلقاني بصحفة مستكين

ولولا الحلم –إن له لجامًا- === لداس الفحل بطن ابن اللّبون

وقال قد هجاك فقلت كلب === عوى جهلاً إلى ليث العرين[6]

في هذه المقطوعات كما هو بين أن الشاعر خاض في كل الأغراض، وهي منظومة على طريقة القدماء من الشعراء في المشرق، تميزت بفصاحة ألفاظها وسهولة أسلوبها وصورها الفنية، والتي تنم عن مقدرة شعرية لدى الشاعر.

وإلى جانب الشاعر الطبني، وجد علماء وأدباء آخرين أمثال إسحاق من عبد الله وقيل ابن أبي عبد الملك المشلوني، وهو شيخ أمراء بني الأغلب، فقيه ومحدث وله معرفة بالتاريخ. ونجد كذلك أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني، وهو من أئمة المالكية فهو فقيه ومحدث ترك مؤلفات منها: "النصيحة في شرح البخاري" و"الواعي في الفقه"،

و"الإيضاح في الرد على القدرية". وأخيرا نجد محمد بن حيون المعروف بابن البريدي، وهو أديب وشاعر بليغ، وكان كاتب إبراهيم بن الأغلب الثاني.

وتجدر الإشارة إلى أن بكر بن حماد التهيرتي، كان قد مدح الأغالبة، وبالتحديد إبراهيم بن أحمد الأغلبي، فقد أقام بالقيروان، وكان همزة وصل بين الإمارتين الرستمية والأغلبية.[7]

[1] -رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص 23.

[2] -عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج1، ص260، 262.

[3] - رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ص 51.

[4] -أمحمد بن لخضر فورار، من شعر الطبني محمد بن الحسين، تقديم وجمع (394-300) مجلة المخبر، جامعة بسكرة، العدد 8، 2012، ص 251-260.

[5] -المرجع نفسه، ص 260.

[6] -المرجع نفسه، ص 263، 264.

[7]